

أيام قرطاج تستلهم حنين الماضي لتعيش الحاضر

تونس تستعيد ذاكرتها السينمائية عبر عرض الأفلام المتوجة بالتانيت الذهبي



فيلم «نورا تحلم» لهند بوجمعة آخر فيلم توج بذهبية المهرجان



«عصفور سطح» طفل يتلصص على عالم الكبار وتعقيداته



«فتوى» شهادة سينمائية على ما لحق تونس من تفكك اجتماعي بعد الثورة

هي ثورة مكتوبة إن، ونقها بن محمود في فيلمه الروائي الطويل لتكون شهادة سينمائية على سنوات الدم والرصاص التي جعلت البلد يبرز تحت أعنف أزمة اقتصادية واجتماعية من بها منذ استقلاله في العام 1956.

المشاهد لفيلم «حلفاوين» بعد عقود من إنتاجه، يكتشف بشيء من الارتداد حجم التناقضات الحاصلة في المجتمع التونسي

هكذا أتت دورة أيام قرطاج السينمائية لهذا العام بشكل استثنائي تماشياً مع الوضع الاستثنائي الذي فرضته الجائحة، فانتصرت كعدها للأفلام الجادة والمقاومة للجهل والتعصب والخنوع للعدم، سواء من خلال استعادة أفضل الأفلام المتوجة، فحققت متعة التذكر لجمهورها الوفي، أو بما جادت به روعة الاكتشاف لمن فاتته عروض هذه الأفلام النوعية.

في تجربة كل شيء، الجنس والدين والسياسة. وكتابة سينمائية تجمع بين الكوميديا والتراجيديا، يتطرق الفيلم إلى تناقضات المجتمع التونسي الذي يستبجح أشياء في السرّ وينكرها في العلن، خاصة متى تعلّق الأمر بالجنس، فالأب (أي الدور الممثل الراحل مصطفى العوانني) يستبجح أعراض نساء السوق، ويكر على زوجته حتى حق الخروج إلى الشارع بمفردها، كما يكون صارماً وحاداً مع كل أهل بيته من السيدات خاصة ولبنات ومطواعاً مع أصدقائه من النكور، في تجسيد صارخ لسطوة المجتمع البطريركي.

كما يظهر الروائي الطويل عبر عيني «نورا» المتلصصة على كل ممنوع مرغوب، مدى القمع السياسي الذي كان يحكم تونس، فالغنان مراقب من قبل البوليس في حركاته وسكناته، و«البلطجي» هو أيضاً بوليس سرّي، ينسب بكل من يستغزّه فيكون مصيره السجن. والمراة في الفيلم، مثلها مثل كل نساء الفيلم، مضمومة مضطهدة من قبل الرجل، وإن بدت على غير هذا الشكل في ادعاء التحزّر المكذوب، كل غابتها الفوز بعريس كلفها ذلك ما كلفها، وما إعلان عمّة نورا القبيحة في آخر الفيلم تمزّدها على إملاء أخوها، رب العائلة، إلا تهديداً لهذا الطموح القترن ضرورة بحاجة جنسية دنيئة.

والمشاهد لفيلم «حلفاوين» بعد مرور أكثر من ثلاثة عقود على إنتاجه، يكتشف بشيء من الارتداد حجم التناقضات الحاصلة في المجتمع التونسي ووقع القمع الذي كان مسلطاً عليه، أينما اتجه، وهو في بيته، وهو في زقاقه، وهو في حبه، وبين أصدقائه وأهله وعشيرته، فلا أمان ولا أطمئنان وسط مجتمع واثن، ما مكن ساسة تونس من السيطرة على البلد بقبضة من حديد، لكن «نورا» الذي يتحزّر في آخر الفيلم من سطوة أبيه، جاء نموذجاً للجيل الجديد من الشباب التونسي الذي تمكن من كسر أغلال القمع بكل أشكاله العائلية والاجتماعية، ليحقق ذاته، كما حقق شباب تونس، بعد عقود من إنتاج الفيلم ثورته غير المكتملة إلى الآن.

عن الثورة وهناتها

هذه الثورة غير المكتملة تتجسّد في فيلم «فتوى» لمحمود بن محمود الذي حصد بدوره في العام 2018 التانيت الذهبي للمهرجان، وهو من بطولة أحمد الحفيان وغالية بن علي وسارة حناشي ورمزي عزيز ومحمد ساسي وآخرين. ويروي الفيلم الذي دارت أحداثه في العام 2013 قصة إبراهيم، وهو مواطن تونسي مقيم في فرنسا، يعود إلى بلده لدفن ابنه مروان المتوفى في حادث دراجة

المستويين العربي والدولي، الأمر الذي جعل مهرجان دبي السينمائي الدولي في العام 2013، يقدّم قائمة مرجعية لأفضل مئة فيلم عربي، كان نصيب تونس منها تسعة أفلام، جاء على رأسها الفيلم الشهير «صمت القصور» لفريدة التلاتي، الذي احتل المرتبة الخامسة ضمن الأفضل عربياً.

والفيلم الذي أخرجته التلاتي في العام 1994 عن سيناريو مشترك بينها وبين النورتي بوزيد مدرج ضمن قائمة عروض المهرجان في نسخته الحالية، وهو من بطولة هند صبري، وأمال الهذيلي وناجية الورغي وهشام رستم وكمال الفازع وسامي بوعجيلة وآخرين. ويسرد الروائي الطويل قصة الشابة عليا المغنية الحامل التي يطلب منها حبيبها الإجهاض، وفي الأثناء تعلم الفتاة نبأ وفاة سيدها السابق، الأمير علي، مالك القصر الكبير التي نشأت فيه، فتعود لتعزية عائلته. ويعودتها إلى القصر تباغتها الزكريات، فتستعيد الأم أمها التي كانت إحدى الخاديات فيه، بل وأكثر من ذلك فقد كانت الطباخة والراقصة والعشيقة.. وبشاعرية سينمائية تتسارع الذكريات في عقل عليا، فتتذكّر طفولتها وحيرتها وهي التي ولدت من أب مجهول الهوية في ذاك القصر المليء بالأسرار.

وغير بعيد عن أسرار الأبواب المغلقة وما تخفيه وراءها من حيوات إنسانية مسحوقة، يحضر من ضمن عروض التوسالجا في المهرجان فيلم «عصفور سطح» الذي احتل بدوره المرتبة الثانية عشرة في المكتبة السينمائية العربية، المنسار إليها أنفاً، وهو المتوجّج بتانيت قرطاج الذهبي لعام 1990،

عن إخراج لفريد بوعدير وبطولة كل من مصطفى العدواني وربيعة بن عبدالله وهيلين كاتزراس وفاطمة بن سعيدان ومحمد إدريس والطفل سليم بوعدير.

وفيه يتبع بوعدير النهج الواقعي في عرض أدق تفاصيل إحدى عينات المجتمع التونسي، مقتحماً حياة «نورا» الصبي الذي ينتقل من مرحلة المراهقة إلى الرجولة، ليستعرض من خلاله يوميات الحي الشعبي التونسي، الحفاوين، الذي يقضي فيه المراهق وقته

في ظل وضع صحي استثنائي انطلقت، مساء الجمعة، بتونس فعاليات الدورة الحادية والثلاثين من مهرجان أيام قرطاج السينمائية، دورة أكد القائمون عليها أنها أتت متحدية للوباء ومنتصرة للحياة، تقلصت فيها عدد الأفلام المشاركة وكذلك نسبة المشاركين، لكن نبض السينما ظل حياً، ولو عبر عرض مجموعة من الأفلام العربية والأفريقية، وخاصة التونسية التي توجت بالتانيت الذهبي للمهرجان على مدار دوراته الثلاثين الماضية.

الذهبي للأيام منذ التأسيس في العام 1966 وحتى الدورة الثلاثين المنعقدة في العام الماضي.

ويعدّ فيلم «السفراء» للمخرج محمد الناصر القطاري أول فيلم يهدي تونس التانيت الذهبي لأيام قرطاج السينمائية في العام 1976، أي بعد عشرين سنة من انطلاق المهرجان الذي تأسس في العام 1966، وتطرق الفيلم عصرنا إلى ظاهرة الميز العنصري التي كان يتعرّض لها العمّال الأفارقة والعرب في أوروبا.

تسعة توجيات

حصدت تونس بعد أول توجيع لها بالتانيت الذهبي على ثمانية أخرى، وهي تباعاً: «عزيزة» لعبد اللطيف بن عمار في العام 1980، و«ريح السد» للنورتي بوزيد في العام 1986، وهو الوحيد من التونسيين الذي تحصل على التانيت الذهبي في مناسبتين، وكان الثاني له في العام 2006 عن فيلمه «آخر فيلم»، كما تحصل فريد بوعدير على أرفع جوائز المهرجان في العام 1990 عن فيلمه «عصفور سطح» أو «حلفاوين».

وفي العام 1994 تمكّنت المخرجة التونسية مفيدة التلاتي من أن تكون أول مخرجة في العالم العربي وأفريقيا تتوج بالتانيت الذهبي لقرطاج السينمائي عبر فيلمها «صمت القصور»، لتلتحق بها بعد أزيد من عقدين كوثر بن هنية التي حصلت في العام 2016 على التانيت الذهبي للأيام، وذلك عن فيلمها الوثائقي الطويل «زينب تكره الثلج».

وفي العام 2018، توجت تونس بتانيتها الذهبي الثامن عبر فيلم «فتوى» لمحمود بن محمود، وللنسبة الثانية على التوالي توجت تونس في 2019 بتانيت المهرجان الذي ذهب إلى فيلم «نورا تحلم» لهند بوجمعة التي باتت ثالث امرأة تتوج بذهبية الأيام كما توجت بطلا الفيلم هند صبري بجائزة أفضل ممثلة في المهرجان عن دورها في الفيلم ذاته، وذلك بعد أن سبق لها أن توجت قبل ربع قرن بذهبية الأيام كأفضل ممثلة عن دور «عليا» في «صمت القصور» في أول ظهور سينمائي لها. وجميع هذه الأفلام التونسية المتوجة وغيرها من الأفلام التي ظلت راسخة في ذاكرة أحياء السينما ومريدي المهرجان، كالفيلم «عرب» للفاضل الجعايبي والفاضل الجزيري (1988)، و«عرائس الطين» للنورتي بوزيد (2002)، و«السيدة» لمحمد الزين (1996) و«نغم الناعورة» لعبد اللطيف بن عمار (2002)، سيتم عرضها تباعاً على مدار الأيام الستة للمهرجان.

تميز وفراة

حققت تونس على مدار تاريخها السينمائي القصير نسبياً، العديد من النجاحات على

صابر بن عامر صحافي تونسي

تونس - في دورة استثنائية تغيب عنها المسابقات والجوائز وتقلص فيها عدد الأفلام المشاركة وكذلك الدول المستضافة في المهرجان السينمائي الأفريقي العربي الأعرق عربياً وأفريقياً، اختارت إدارة مهرجان أيام قرطاج السينمائية في دورتها الحادية والثلاثين التي تنتهي فعالياتهما، الأربعاء، الاحتفاء بالذاكرة السينمائية، عبر دورة حملت شعار «الحنين».

دورة قال عنها إبراهيم اللطيف المدير الفني للمهرجان «أردناها أن تكون متوائمة مع الوضع الصحي العالمي الذي فرض علينا خيارين إما الإلغاء التام أو التاجيل، وإعادة التاجيل في كل مرة، لكننا اخترنا الحل الأصعب، وهو الإبقاء على الدورة ولو بتقليص عدد الأفلام والمشاركين فيها، وإرتاننا إمتاع عشاق السينما بعروض خاصة، في نوع من الحنين إلى الأفلام الخالدة التي طبعت تاريخ المهرجان سواء تلك التي اعتلت منصة التتويج أو التي حققت التميز والشهرة».

وضمن هذا الخيار، تحضر في النسخة الحادية والثلاثين من مهرجان أيام قرطاج السينمائية التي تنهي فعالياتهما، الأربعاء، إلى جانب بعض الأفلام الجديدة التي تعرض للمرة الأولى على الشاشات التونسية كالفيلم «الرجل الذي باع ظهره» للتونسية كوثر بن هنية و«200 متر» للفلسطيني أمين نايفة و«ليلة الملوك» لفيليب لاكوت من ساحل العاج، العديد من الأفلام العربية والأفريقية المتوجة بالتانيت



هند صبري توجت بجائزة أفضل ممثلة للمهرجان في مناسبتين، كانت الأولى في 1994 والثانية في 2019

